التلازم المنطقي بين الوحدتين العضوية والموضوعية
معلقة زهير بن أبي سُلمى أنموذجاً

الكلمات المفتاحية : التلازم ، الوحدة ، الموضوعية

البحث مستل من اطروحة دكتوراه

م.م. ماجد يعقوب نجم **أ.د. اياد عبد الودود الحمداني**

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانية

Majed.e1981@yahoo.com ***metonymyman@yahoo.com***

الملخص Abstract

يحاول البحث الكشف عن مفهوم الوحدة العضوية والموضوعية، وإيجاد العلاقة التلازمية ما بين المصطلحين، وما النتائج التي تمخضت عن تواجدهما في القصيدة، فمصطلحا الوحدة العضوية والموضوعية من المصطلحات النقدية المهمة؛ لأنها تحقق فرضية التكامل بين الشكل والمضمون، على أساس أن العلاقة التلازمية تسعى إلى إخراج بنية القصيدة حية تامة الخلق والتكوين على الرغم من اختلاف أبياتها القصيدة وكثرتها، وقد جعلنا من معلقة زهير بن أبي سيلمى ميداناً حياً لإيجاد العلاقة التلازمية ما بين الوحدة العضوية والموضوعية فيها، فهي عينة فاعلة لكثرة المواضيع ووجود الحكمة فيها إذ إن جودة القصيدة يرتبط بانتظام القول فيها انتظاماً من أولها إلى آخرها وتلاؤم المعاني وحسن الترتيب وحسن الانتقال والتخلص فيها، أي إن أي جزء في القصيدة له دور مكمّل مع الجزء الآخر. ولا يتعدى سرّ الوحدة العضوية في النص الشعري سوى انه تخطيط بمنتهى الذكاء يَتّبعهُ الشاعر ليحقق مبدأ الترابط الموضوعي، راجياً من ذلك شدّ القلوب والانصات والتأثير بالمتلقي، وكسر أفق الملل في المواضيع والأغراض المتناولة في القصيدة.

المقدمة
Introduction

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين وبعد...

فإن مصطلحي الوحدة العضوية والموضوعية من المصطلحات النقدية التي شغلت الساحة النقدية من دون التركيز في ما يخصّ الشعر سواء كان قديما أم حديثا فهما موضوعان نقديان يسعى من خلالهما الشاعر إلى إبراز إمكانيته في تحقيق بناء تتآزر فيه العناصر الفكرية والشعورية واللغوية، محققا الانسجام والتماسك في جوّ القصيدة، وبهذا الانسجام تصل القصيدة إلى مرتبة الإجادة، فالوحدة العضوية والموضوعية بناء ترابطي كلي وجزئي وتكاملي، و قد قُسِّمَ البحث على مبحثين؛ تناول المبحث الأول التعريف بمفهوم الوحدة العضوية والموضوعية وكشف عن مفاصل هذه الوحدة، أما المبحث الثاني فكان التركيز على تمظهرات ذلك التلازم المنطقي في القصيدة العربية القديمة، وكانت معلقة زهير بن أبي سُلمى انموذجاً لتوضيح العلاقة العضوية والموضوعية في القصيدة الجاهلية، وانتهى البحث إلى خاتمة عرضت لأهم النتائج والملاحظات العلمية التي توصل إليها البحث، أسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول: مفهوم الوحدة العضوية والموضوعية

The first topic: the concept of organic and objective unity

تعد كل من الوحدة العضوية والموضوعية من أساسيات البناء الفني للقصيدة العربية على وجه العموم، لما تحققه هذه الوحدة من واجبات وإخراج فني متكامل يدعم ويُعزز البناء. وهذه الوحدة تعزز أيضاً من مقدرة الشاعر وإمكانيته في عملية البناء والخلق، ومقياس حيوي لقياس ثقافة الشاعر.

تمثل الوحدة العضوية البناء الذي تتآزر فيه العناصر الفكرية والشعورية والتصويرية واللغوية فضلاً عن العناصر الموسيقية بحيث يكون كل عنصر فيه موظفاً لأداء فكرة أو التعبير عن شعور، وهي عاملٌ فاعل لتحقيق النموّ والانسجام الذي يحقق التحام البناء الفني ومن ثم تحقيق نوع من التكامل بين عناصر القصيدة يتحقّق على إثره التماسك في البناء وعند ذاك تصل القصيدة إلى مرتبة الكمال(١). وتوصف الوحدة العضوية بأنها عنصر التماسك والترابط التي تحقق البنية المتكاملة، ويكون فيها البيت جزءاً مكملاً للأجزاء الأخرى، يتحقق عنده أبهى بناء للقصيدة (٢).

فالوحدة العضوية والموضوعية بناء ترابطي كلي وجزئي وتكاملي من جميع النواحي سواء كانت فكرية ارتبطت بالموضوع الرئيس أم الجانب الشعوري عززت انفعالات المتلقي والانسجام التصويري الذي ينقل المتلقي الى عوالم الخيال والتصورّ؛ فهي أشبه بوظائف جسم الإنسان حسب وصف العقاد الذي يقول إن ((القصيدة الشعرية كالجسد الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ولا قوام بغير ذلك))([٣]).

فالقصيدة في بنيتها الظاهرة جامعة لعدد من الصور وعلينا أن نبحث في العلاقات التي تضم هذه الصور في قصيدة واحدة وعن علاقة كل صورة بالأخرى، ومن ثم لا يصح تمزيق النص أو الاكتفاء بجزء منه، فهذا يمثل عجزاً عن مواجهة النص وبعداً تاماً لمفهوم الوحدة العضوية والقصيدة الناجزة([٤])، والقصيدة أيضاً هي تلك الصورة القائمة على أسس جمالية تحمل دلالات معنوية ونفسية غير محددة للكشف عن جوهرة التجربة الابداعية، وهي على الرغم من أن القيمة الذاتية المستقبلية التي يمكن ان تتمتع بها تتأتى قيمتها الأساسية من دورها البنائي العضوي([٥]).

إن لذة النص أو العمل الأدبي لا يمكن أن تتأتى إلا من جميع مكونات النص لفظاً وبناء ومعنى، والرابط المشترك الذي يحقق ذلك هو مفهوم الوحدة العضوية والموضوعية([٦]).

فالوحدة العضوية مبدأ ذكاء يتبعه الشاعر راجياً من ذلك تحقيق الترابط الموضوعي المتناول في قصيدة ما ليكسب من خلاله المتلقي ويبعده عن كل المعوقات مثل الملل الرقابة والتكرار التي تضعف جمال القصيدة.

مفاصل الوحدة العضوية والموضوعية

The joints of organic and objective unity

إن القصيدة الناجزة هي تلك التي تكون مترابطة متسلسلة من بداية العنوان مروراً بالافتتاحية ومتنها وموضوعاتها وصولاً إلى الخاتمة، ويتحتم على الشاعر السيطرة على الجو النفسي لكي تكون عامل جذب للمتلقي بوصفها قيمة مهمة في تحقيق الترابط الكلي فيها ولا يتحقق ذلك إلاّ من خلال الوحدة العضوية والموضوعية المحددة بمفاصل عدّة نجملها في الآتي (٧):

١. التركيز على تهذيب القصيدة واعتدال أجزائها وحسن تركيبها وإيجاد الملاءمة بين المعاني والالفاظ وان تتم هذه الأمور بدقة وعناية وملاحظة متكررة فقد شُبِّهَ الشاعر بالنقّاش والناظم.

٢. العناية التامة بمطلع القصيدة وافتتاحها بأن تكون أقرب إلى ذهن السامع.

٣. حسن التخلص والانتقال من غرض إلى غرض آخر بلباقة وحذق حتى لا تتقطّع أجزاء القصيدة.

٤. الابتعاد من الحشو الذي لا فائدة منه والاهتمام بتنسيق الأبيات وحسن تجاورها.

٥. يجب أن تكون القصيدة كلها متماسكة كأنها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وتأليفاً وفصاحة وجزالة.

٦. عدم إمكانية التقديم والتأخير في القصيدة وهذا الشيء من معايير جودة القصيدة.

فعند تحقق هذه المفاصل تكون القصيدة وليدة الجودة والسبك ولابد من تحقيق هذه المفاصل بين أروقة القصيدة من جوانبها الفكرية والشعورية والموضوعية. من الافتتاحية الى الخاتمة. وبهذا يوفر الشاعر لقصيدتهِ بعض شروط الإجادة التي سمّاها النقاد فيما بعد بتلاحم أجزاء القصيدة التي يريدون بها أن تكون القصيدة متسلسلة الأبيات لا يحس القارئ بجفوة أو انقطاع بين أبياتها حين ينتقل من معنى إلى آخر ومن غرض إلى غيره فيحسن التخلص من معانيها ويجيد الترابط بين أبياتها ومعانيها ترابطاً يوفر لها وحدة موضوعية متكاملة(٨).

فالتلاؤم والانسجام من أهم ما تدعو إليه الوحدة العضوية فلا قيمة للبيت الشعري منفرداً ما لم يظهر دوره البنائي في الوحدة الشاملة ببنية القصيدة؛ فتسليط الضوء على أجزاء القصيدة بصورة شمولية لا انتقائية([٩])؛ لأن قضية إنتاج الشعر ونظمه وابداعه تقوم على نظرة حيطة وحذر يظللها شيء من الإجلال والإكبار، وهي نظرة لها أهميتها ومداها وطريقة خلقها بصورة ترابطية شمولية([١٠]).

إن عناصر بناء القصيدة لا تدرس مستقلة؛ لأنها ليست عناصر مجردة وانما هي داخلة في تكوين فني اتخذت فيه خصائص وسمات جديدة لذلك ينبغي فهم العلاقة التكاملية فيما بينها وان كلاً منها متمم للأخر وهذا هو الجوهر الذي تدعو إليه الوحدة العضوية والموضوعية([١١]).

ويمكن ان تعد المعلقات افضل نموذج من الشعر الجاهلي من حيث القوة والمتانة وجمال الأسلوب، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي، ولذلك غطت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي وصار لقائليها من الذكر والشهرة مالم يظفر به غيرهم من الشعراء واتخذها الأدباء والشعراء بعد عصرها قدوة يحاكونها حين ينظمون متأثرين بأسلوبها ولغتها وطريقة نظمها وتسلسل أفكارها محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغ أولئك الجاهليين من معلقاتهم لأنهم اعتمدوا مبدأ الوحدة العضوية والموضوعية في طريقة نظمهم([١٢]).

فالوحدة العضوية والموضوعية بناء يعتمد على ايجاد الروابط ما بين الصور والعبارات والافكار التي جاءت بها القصيدة والتعابير اللغوية والأجواء النفسية التي ضجت على الوضع العام فيها، ويستحيل دراسة ما تقدم بمعزل عن الاخر في ظل الوحدة العضوية والموضوعية التي تسعى دائما إلى جعل العمل الأدبي كتلة متماسكة الأطراف متعاضدة.

المبحث الثاني : التلازم المنطقي في القصيدة العربية القديمة :

:The second topic: The logical correlation in the old Arabic poem

إن التركيز بصورة شاملة على القصيدة العربية القديمة يجد نوعاً ما من التلازم المنطقي في تسلسل الأحداث، ويمكن أن نعد الأنموذج القديم للقصيدة الجاهلية خير مثال في تجسيد مفهوم الوحدة العضوية والموضوعية ولاسيما المعلقات التي بلغت درجة عالية من الذروة في التماسك والسبك وذلك أن منوال

التنظيم والبناء لهذه المعلقات أثرت في الشعر العربي عامة، ولعلنا هنا نستطيع إيراد المقدمة الطللية مثالاً يوضح قدرة الشعر العربي القديم على بث إمكاناته النفسية بوصف المقدمة الطللية تشكيلا فنيا مؤثراً لا موضوعياً معرفياً يمكن إلغاؤه أو الانتقال إلى موضوع مفارق آخر يعوض عن جمالية المقدمة الطللية[١٣]، فالآثار الشعرية القديمة نالت نصيباً من الإعجاب على مر العصور اللاحقة حتى أصبحت أمثلة يحتذى بها ويسار على نهجها والدعوة إلى تكرار المحاولة بنفس الصياغة والبناء وتلازم الأجزاء العضوية والموضوعية فيها لكي تعزز مكانتها، وإن هذا التلازم المنطقي قد أكد عليه الكثير من النقاد ويرون أن البنية الشعرية الفنية تختفي بالصياغة والتصوير والتلازم[١٤]، ومما لاشك فيه نجد أن النص الشعري الجاهلي يشكل واقعة ثقافية مهمة أودع فيها الشاعر الجاهلي خلاصة تجاربه في الحياة ونظراته المتأملة في الكون والوجود وبما أن العقلية الجاهلية في صورتها النمطية هي عقلية خاضعة لمنطق الجدلية وتتسم بالقلق والشك والتساؤل تجاه موضوعات الحياة ولاسيما الغامضة منها فإن هذه السمة تجعل من النص الشعري مضمراً للمفارقات الثقافية ومدخلاً فعالاً للبحث عن دلالات هذه المفارقات[١٥]ويرى بعضهم أن مهمة الشاعر تنحصر في كيفية صياغة المعنى من خلال التشكيل اللغوي والصوري الذي هو عنصر من عناصر الإبداع فالشاعر يستطيع من خلال هذا التشكيل بناء ورسم الصورة الشعرية[١٦]، وإذا أمعنا النظر فيما تقدم من آراء لوجدنا أن عناصر البنية الفنية في العمل الفني ترتبط بالصياغة والتركيب أو طريقة الرصف كما أنهم يقللون من شأن المعاني، وقد مرَّ بنا أيضا ممن تطرقوا إلى ظاهرة اندماج المعنى بالمبنى في العمل الفني بحيث يؤلفان وحدة لا انفصام بين أجزائها، وقد قادهم ذلك إلى الاحتكام إلى الصورة الشعرية، ولهذا كان نقدهم قد انصب على جمال التعبير وأناقته وسلاسته، إذ تشكل الصورة أبرز ملامحه وبجانب ذلك التلازم الموضوعي والعضوي في أجزاء القصيدة بحيث تكون أبرز ملمح من ملامح الجذب والشد في أروقتها[١٧] .

وتتميز الصورة الشعرية بأنها من مقومات الوحدة العضوية والموضوعية في بنية القصيدة العربية، فالصورة الشعرية بنيان القصيدة التي تتألف من مجموعة

صور تتصل مع بعضها في بناء شعري يفضي إلى توصيل الأفكار والعواطف بأحد أشكال التعبير القائمة على الخيال[١٨]، فليست الصورة الشعرية من مسوغات الوحدة العضوية والموضوعية في بناء القصيدة العربية فقط، بل إن التلازم والتتابع الحاصل في عناصر البناء يشكل المعنى الحقيقي لهذه الوحدة فمثلا الإيقاع الذي يعتمد الوزن الذي هو صورته الخاصة يقوم على التكرار والتوقع سواء كان ما نتوقع حدوثه يحدث بالفعل أو لا يحدث، وعادة يكون هذا التوقع لا شعوريا، فتتابع المقاطع على نحو خاص سواء كانت هذه المقاطع أصواتاً أم صوراً للحركات الكلامية يهيئ الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره؛ إذ يتكيف المتلقي في هذه اللحظة لتقبّل مجموعة محدودة من المنبهات الممكنة، وهذا ما تستدعيه الوحدة العضوية والموضوعية لتشكل نمطاً من الإلفة والراحة في الغور في أجواء القصيدة وكسر أفق الرتابة المعقدة التي تلقي بآثارها على المتلقي أو القارئ[١٩]، فالتلازم والترابط والانسجام مطلوب في بناء القصيدة لكي تحقق المعنى الداخلي والخارجي لمفاصل الوحدة العضوية والموضوعية التي تنقل العمل إلى درجة الكمال وتحقيق التواصل المنطقي.

إن إمعان النظر في ديوان الشعر العربي يجعلنا نجد الكثير من القصائد التي حققت نماءً وامتلاءً عضوياً ينمّان عن تجربة خلق عرفت طريقها إلى التكامل، وإن هذا النماء الذي تحققه القصيدة هو نتاج الوحدة الشعورية والمصاحبة للمحطات الشعرية التي يحول انفعالها إلى قيمة تعبيرية جمالية قوامها صورة كلية تتألف من طائفة متآزرة من الصورة الجزئية وفي هذا تحقيق للوحدة العضوية والموضوعية(٢٠) وإن ما يسميه النقد الحديث (بالوحدة العضوية) أو (بالوحدة الموضوعية) أو (الوحدة الشعورية) أو (الوحدة الفنية) يعني احتضان الوجدان انفعالاً واحداً متجانساً يسيطر على عملية الخلق الفني منذ أول إشعاعاتها حتى انتهائها وفي سيادة انفعال واحد أو عاطفة واحدة تحول الفوضى إلى النظام، ومن التعددية إلى الوحدة ومن خلال هذا الترابط العضوي تنمو شبكة العلاقات التواصلية بين أجزاء القصيدة ومفاصلها(٢١)، لقد ظل الإطار القديم للقصيدة العربية حاضراً وميداناً لمفهوم الوحدة العضوية والموضوعية.

الحكمة – مولّد شعري في معلقة زهير بن أبي سُلمى :

:Wisdom - the birth of my hair in the hanging Zuhair ibn Abi Salma

العصر الجاهلي وما برز به من شعر يصب عادةً في مصلحة الحياة ومواجهة تقلباتها فقد ساد الجوع والقحط والترحال بسبب الظروف الطبيعية الصحراوية القاحلة وعلى الرغم من ذلك نجد المعاني الخلقية واضحة تماماً من خلال ما سطروه من أفعال وأقوال عكست واقعهم المُعاش والرقي الثقافي المتخفي، فوجدنا الشجاعة على اختلاف مسمّياتها وميادينها والكرم والقيم النبيلة المرتبطة بنسق ثقافي مضمر.

إن الحكمة واضحة في قصائد العصر الجاهلي، فهي قول موجز يختصر الكثير من المسافات وحل المشكلات وإعطاء الحلول بالمجان، وهي مرتبطة بالحياة فإنها لا تبقى أفكاراً عامة مجردة لوجه الحق بل تتأثر بالبيئة التي تظهر فيها وبالعصر الذي يتبناها إلا أن المصدر المهم لها هي تجارب البشر وذكائهم الحاد وبصائرهم النافذة، وتأمل الماضي والحاضر وقياس الثاني على الأول والنظر إلى جوانب الحياة واستخلاص العبر العامة من المواقف الخاصة(٢٢)، والحكمة الجاهلية دليل على رقي عقلية الشعراء وتفكيرهم وتأملهم في قضايا الناس والحياة وهي ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم والماضين ومصائرهم، وتأمل في سعي الانسان وغايته ونهايته، ثم احساس دقيق بالحياة(٢٣)، وإذا أمعنا النظر في معلقة زهير بن أبي سُلمى فسنجد قدرة الشاعر وإمكانياته الإبداعية في خلق الصور الجزئية التي انتابها الترابط التواصلي في طيات هذه الصور للوصول إلى الصورة الكلية بطريقة تعتمد على سلسلة خيالية من الفنون الانتقالية ما بين محطة وأخرى، ويرجع هذا بفضل الوحدة العضوية والموضوعية.

وتنقسم المعلقة على قسمين كبيرين قسم غزلي يصف فيه الشاعر الأطلال والرحيل على الطريقة الجاهلية، وقد شغلت هذه المقدمة الطللية الأبيات الخمسة عشر الأولى وقسم إصلاحي مدح فيه المصلحين هرم بن سنان والحارث بن عوف، وقصَّ كيف عقد الصلح امتد من البيت السادس عشر حتى الخامس والعشرين، ثم نصح المتصالحين، ووصف الحرب، وحذر قبيلة عبس منها قد تمثل

ذلك من الأبيات الممتدة من البيت السادس والعشرين حتى البيت الخامس والثلاثين، وذِكر قصة حُصين بن ضمضم في الأبيات الممتدة من البيت السادس والثلاثين حتى البيت السابع والاربعين، ثم جاء بطائفة من الحكم والأمثال العامة امتدت من البيت الثامن والاربعين حتى البيت الرابع والستين[٢٤] .

وإذا نظرنا إلى الغرض الرئيسي لهذه المعلقة فنجدها يقوم على المدح لمن سعى في عقد الصلح وتحمل الديات ما بين قبيلتي عبس وذبيان، ورافق هذا المدح جملة من التحذيرات والحكم الغراء الخاصة بالحياة بصورة عامة، ومنها ما يخص ما تنتجه الحروب من ويلات ومصاعب وأحقاد على المدى البعيد .

وتتجلى الموهبة الشعرية في حكمة زهير في الأسلوب التعليمي المستند إلى هدوءه ورصانته، ويمكننا أن نتلمس الرصانة في الوحدة العضوية والموضوعية التي نهجت القصيدة على هذا المنوال، وبجانب تلك الرصانة ابداع في الوزن الشعري وفي حسن اختيار الألفاظ والعبارات وفي الوضوح الفكري والسهولة الأدائية، فجعل زهير من حكمته هذه دستورا مفصلاً لتهذيب النفس وحسن التصرّف في السياسة الاجتماعية والبدوية(٢٥).

فمعلقة زهير جاءت بأسلوب جاهلي تقليدي ابتدأ من المقدمة الطللية، وهذه المقدمة هي المفاتيح للغور في أجواء القصيدة وما بُنيت عليه من موضوعات وقضايا؛ لأن الطلل والمقدمة إنما هي صدى للثقافة والذكريات، فهما نمطان من الحنين إلى الماضي فإن الشعراء دائما يرتدّون بأبصارهم وأنظارهم إلى الوراء إلى أغلى جزء مضى وانقضى من حياتهم وإنهم افتتحوا قصائدهم بهذه المقدمات التي مثلت ثقافتهم تمثيلاً حقيقياً (٢٦) .

فنرى زهير بن أبي سلمى شغل مقدمته الغرض الغزلي الذي وصف فيه الأطلال والحنين لها وتضمنت المقدمة سرداً للأحوال التي اكتنفت هذه الأجواء الموصوفة لنرى الانتقال الرائع الذي يحقق الوحدة الموضوعية بالانتقال إلى القسم الإصلاحي الذي عهد فيه بمدح من سعى لعقد الصلح وإحلال السلام، وقطع الضغينة، يقول فيها:

يمينا لنعم السيدان وجـدتُمـــا على كلّ حالٍ سحيلٍ ومبرمِ
تداركتما عبساً وذبيـــان بعدمـا تفانوا ودقُّوا بينهم عطرَ منشمِ
وقد قلتما أن ندرك السلم واسعـا بمالٍ ومعروفٍ من الأمرِ نسلمِ
فأصبحتما منها على خير موطنٍ بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثمِ
عظيمين في عُليا معَدٍ هديتمـــا ومن يستبح كنزا من المجد يعْظم
وأصبح يُحدى فيهم من تلادِكـــمُ مغانم شتى مِنْ إفال مزنّـم(٢٧)

ثـم ينصـح المتصـالحين ويقـدم لهـم جملـةً مـن النصـائح لإدراك قيمـة النصـح والوفـاء لـه وعـدم الحنـث بـه، وعـدم كتمـان الغـيض المـبطن التـي تكتمـه النفـوس؛ لأن ذلـك معلـوم عنـد الله عـزّ وجـل مكتـوب فـي كتـاب يجـازي بـه آجـلاً أو عـاجلاً، يقـول زهير:

أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسَالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ
فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ(٢٨)

ثـم يصـف الحـرب وويلاتهـا ومـا تنـتج هـذه الحـروب مـن مصـائب فهـي ليسـت بالحـديث الواقـع ولا الحـديث المقـرون بـالظن، بـل هـي مرفوضـة تمـام الـرفض متـى بعثت ومتى ذكرت، فيقول زهير :

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ
فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِلُّ لأَهْلِهَا قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ(٢٩)

ونـرى الإطالـة الرائعـة تقـدم جملـة مـن النصـائح تجلـت الوحـدة العضـوية والموضـوعية فيهـا، بكسـر الترتيـب والملـل والرتابـة التقليديـة ليضـعنا فـي جـوّ مشـحون فـي انتظـار مـا يلـي البيـت المقـروء والمتنـاول فـي تلـك اللحظـة ليحـرك فيهـا عنصـر الشوق لما يلي ذلك، يقول زهير:

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَــنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْــأَمِ
رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فيَهْرَمِ
وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَــــهُ وَلكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ(٣٠)

ففي هذه الأبيات ملخص عن معنى الحياة وما يكتنفها من أهوال ومصاعب تكون الحكمة الحكم الفصل في تجاوزها، فرحلة العمر الطويل مقرونة بالملل مهما بلغ الانسان من محطات السعادة لابد من أشياء تنغص ذلك؛ لأن الإنسان قد يكون عالماً بما حصل في اليوم المنصرم سواء كان القريب والبعيد منه، ولكنه جاهلٌ بما يخبئ له الغد؛ لأن هذه الأمور غيبية بيد الله عزّ وجل .

ثم يصور لنا زهيراً كيفية التعامل مع هذه التقلبات، يقول زهير :

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُــورٍ كَثِيــرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِــــهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ(٣١)

يصور لنا أمور الحياة كثيرة ومتنوعة وتحتاج حكمة التصرف فيها والمداراة في التعامل مع الناس، فإن لم يحسن التصرف منهم فهو عُرضة لانتقادهم. فمن كان ذا فضل فلينشر هذا الفضل بين أبناء جلدته لا غيرهم؛ لأن كرمه على غير أبناء قومه يقوده للذل والهوان، ومن بذل المعروف وأسرف فيه يكون ستراً منيعاً وواقيا له من كلام الناس، فإبداء المعروف وسيلة في حفظ النفس، كذلك الوفاء بالعهد المقرون بعدم الذم وسيلة من وسائل حفظ النفس وعامل تخطي إلى برّ النجاة، يقول زهير:

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إلى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ(٣٢)

وإن أخلاق الناس كتاب مفتوح لا يمكن أن يخفيه الإنسان ويظهر ذلك من خلال أسلوبه وتعامله وطريقة كلامه، يقول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِــــي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ(٣٣)

ثم يختم هذه المعلقة بشيء قد جاوز حدود الرقي والثقافة في ذلك العصر إلى أبعد الحدود وكأنها درر تشفي المتلقي بتعبير تحقق فيه أعلى مراتب الجمال، وهو يصور حال الإنسان وما يؤول إليه بعد هذا العمر قائلاً :

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدنا فَعُدْتُمُ وَمَنْ يكْثَرَ التّسْآلَ يَوْماً سَيُحْرَمِ(٣٤)

وهنا يصور رحلة العمر الطويل للإنسان فإن شاخ بعد السفاهة لا يرجى منه الحلم إطلاقاً على عكس ذلك الشاب الذي إذا كان سفيهاً أكسبه شيبه نوعا من الحلم والوقار، ويصور بعد ذلك كثرة السؤال الذي يؤدي إلى الحرمان، وهنا حقق مبدأ عظيماً من مبادئ الوحدة العضوية والموضوعية عندما ختم القصيدة بهذا البيت ليحقق الترابط الكلي والجزئي لمضمون القصيدة التي تناولت عطايا الكرماء في حقن الدماء وإحلال السلام.

فإن نظم القصيدة وترابط أجزائها وتحقيق معاني الوحدة العضوية والموضوعية ليس بالأمر الهين كما يصف أبو علي ((والمنظوم أهز لعطف الكريم وأجمع لشتات محاسنه، كما أنه أفل لغرب اللئيم، وأبدى بصفحة مطاعته)) (٣٥).

فقضية الوحدة العضوية والموضوعية قضية نقدية بحتة يسعى من خلالها الشاعر لإخراج عمله وكأنه كتلة تامة الخلق من جميع نواحيها نظماً وأفكاراً ومعاني، ويكون الترابط حاضراً بين مفاصلها لتحقيق مبدأ الانسجام بين أبياتها.

الخاتمة

Conclusion

وأخيراً يمكننا القول إن الوحدة العضوية والموضوعية مصطلحان نقديان يسهمان في صقل القصيدة شكلاً ومضموناً وإيجاد الروابط ما بين الصور والعبارات والأفكار وبناء القصيدة إذ لا يمكن الاهتمام بأحد جوانبها دون الآخر إنما الالمام يكون بطريقة شمولية كي لا يتجزأ العمل الأدبي، أي أنَّ أي جزء فيها له دوره الخاص المكمل للجزء الآخر؛ لأن اللغة والأفكار والمعاني مطروحة لأي عمل أدبي ولكن يتجلى الدور الأساسي في تحقيق الوحدة العضوية والموضوعية بنقل المتلقي إلى عوالم مختلفة بمحطات متنوعة بطريقة سلسة استخدم بها الشاعر إمكانياته من حسن التخلص والانتقال ما بين الفقرات .

وتعـدّ معلقـة زهيـر بـن أبـي سُـلمى انموذجـاً تحقـق عنـده التماسـك العضـوي والتنـوع الموضوعي وأظهر تماسكاً بين بنية الشكل وظهوراته الموضوعية بطريقة إبداعية.

Abstract

The Logical Concomitance between the Units of Membership and Objectiveness: Mu'alaqat Zuhair bin Abi Salma as a Specimen

A Research Derived from PH. D Dissertation

Keywords: Concomitance , Unity, Membership, Objectiveness

Prof. Ayad Abdul-Wadood Al.Hamadany (PH.D)

PH.D Student

Asst. Inst. Majed Yaqub Najam

This research attempts to explain the concept of membership and objectiveness unity and find out the concomitance relationship between these two terms. The results show that they are found in the poem. Terminologically, the unity of membership and objectiveness are important critical terms because it achieve the hypothesis of complementation between the form and content. This is on the basis that the concomitance relationship tries to make the poem structure alive and perfect in creation and formation, although the lines of the poem are different and abundance. We made Mu'alaqat Zuhair Bin Abi Salma as alive field for finding out the concomitance relationship between the membership and objectiveness unity in this poem. It is an active sample because of its abundance subjects and the existence of wisdom in it. The quality of the poem is related to the organization of speech in it in a systematic way from its beginning to the end , the suitability of their meaning , well-order , well- transition and getting riddance in it. In other words, each part of the poem has an integration role to the other part and the secret of the membership unity does not exceed the poetic text only in its cleverest planning followed by the poet to achieve the objective correlation hoping to attract hearts , listening and affecting the audience , besides

breaking the boring atmosphere of the subjects and purposes dealt with in the poem.

الهوامش

Margins

(١) ينظر: أنواع الوحدة في القصيدة العربية في العهد العثماني (مقال) د.زينب بيرة حكلي، رابطة أدباء الشام، ١٠ اذار، ٢٠١٦م.

(٢) ينظر: الوحدة العضوية في القصيدة العربية قديماً وحديثاً (بحث) يحيى خان مجلة العلوم الإسلامية والدينية، مج١، ع٢، يوليو – ديسمبر ٢٠١٦م: ٩٩.

(٣) ينظر: الديوان في الادب والنقد عباس محمود العقاد، ابراهيم عبد القادر المازني، مكتبة طريق العلم القاهرة، مصر، ط٤، د.ت: ١٣٠.

(٤)التناغم النصي في المفضليات ، د. مروة مختار، مكتبة وهبه للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م: ٨.

(٥) بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس بيروت _لبنان ، ط٢، د.ت: ٥٣.

(٦) مفهوم الادبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، توفيق الزيدي، سراس للنشر، ١٩٨٥ م: ١٣٨.

(٧) الوحدة العضوية في القصيدة العربية قديماً وحديثاً: ١٠١.

(٨) وحدة القصيدة في النقد الادبي (بحث) حسيب زيدان خلف الحديدي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد ١٤، ٨٤، ايلول ٢٠٠٧م: ٣٩٢.

(٩) ينظر : بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٤م. :٧٧.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٧١.

(١١) ينظر : المصدر نفسه : ٧٣.

(١٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري ، دار التربية بغداد، د.ت: ٥٧.

(١٣) التأصيل النقدي لفنية الشعر العربي قبل الإسلام ، د . عبدالقادر علي باعيسى ، مكتبة الدراسات الفكرية والنقدية، ط١ ، ٢٠٠٥م: ٣٧.

(١٤) ينظر : البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية ، د. سعيد حسون العنبكي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١، ٢٠٠٨م : ١٥٣.

(١٥) ينظر : جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، د.يوسف عليمات، وزارة الثقافة، عمان-الأردن، د.ت، :٢٨١-٢٨٢

(١٦) ينظر : البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية .١٥٤

(١٧) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٥-١٥٦.

(١٨) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٨ .

(١٩) ينظر : مبادئ النقد الأدبي ، أ . ا . رتشاردز ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣م : ١٨٨ .

(٢٠) ينظر : رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، أ . د . عبدالكريم راضي جعفر ، دار عدنان ، ٢٠١٤م : ٥٤٤ – ٥٤٥ .

(٢١) ينظر : المكان نفسه.

(٢٢) الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه أعلامه فنونه ، د. غازي طليحات عرفان الأشقر ، دار المعارف ، حمص ، ط١، ١٩٩٢م: ٢٠٨ .

(٢٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٢٨٧ .

(٢٤) ينظر: الحكمة في معلقة زهير بن أبي: ٤٠ .

(٢٥) ينظر : المكان نفسه

(٢٦) ينظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، د. حسين عطوان ، دار المعارف ، مصر، د . ت : ٢٧٧ .

(٢٧) ديوان زهير بن أبي سُلمى ، علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٨م: ١٠٥ – ١٠٦ .

(٢٨) ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٠٧ .

(٢٩) المصدر نفسه : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣٠) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٣١) المكان نفسه : ١٢٠ .

(٣٢) المصدر نفسه: ١١١ .

(٣٣) المكان نفسه .

(٣٤) المصدر نفسه : ١١٢ .

(٣٥) ينظر : حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، أبو علي الحاتمي ، تحقيق : د. جعفر الكناني ، دار الرشيد للنشر ، ج١ ، ١٩٧٩م: ١٢٥.

المصادر والمراجع

Sources and references

- البناء الفني في قصيدة الحماسة العباسية، د. سعيد حسون العنبكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م.
- بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤م.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، د. يوسف حسين بكار، دار الاندلس بيروت _لبنان، ط٢، د.ت.
- التأصيل النقدي لفنية الشعر العربي قبل الإسلام، د . عبدالقادر علي باعيسى، مكتبة الدراسات الفكرية والنقدية، ط١، ٢٠٠٥م.

التناغم النصي في المفضليات، د. مروة مختار، مكتبة وهبه للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.

جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، د.يوسف عليمات، وزارة الثقافة، عمان– الأردن، د.ت، :

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي الحاتمي، تحقيق : د. جعفر الكناني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ج١، ١٩٧٩م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني، مكتبة طريق العلم القاهرة، مصر، ط٤، د.ت.
- رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، أ . د . عبدالكريم راضي جعفر، دار عدنان، بغداد، ٢٠١٤م.
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، دار التربية بغداد، د.ت.
- مبادئ النقد الأدبي، أ. ا. رتشاردز، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣م.
- مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، توفيق الزيدي، سراس للنشر، ١٩٨٥م.

- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر، د.ت.

الأبحاث والدوريات:

Research and Periodicals

- أنواع الوحدة في القصيدة العربية في العهد العثماني (مقال) د. زينب بيرة حكلي، رابطة أدباء الشام، ١٠ اذار، ٢٠١٦م.
- الحكمة في معلقة زهير بن أبي سلمى، (بحث) د. أبو الفضل رضائي وعلي ضيغمي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع٤، ١٩٨٥م.
- الوحدة العضوية في القصيدة العربية قديماً وحديثاً (بحث) يحيى خان، مجلة العلوم الإسلامية والدينية، المجلد ١، العدد٢، يوليو – ديسمبر ٢٠١٦م.
- وحدة القصيدة في النقد الأدبي (بحث) حسيب زيدان خلف الحديدي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد ١٤، أيلول ٢٠٠٧م.